

بعض الوصايا للمجاهدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فهذه بعض الوصايا المختصرة للإخوة المجاهدين الذين منَّ الله عليهم بالنفير إلى ساحة الجهاد، وأنقذهم ربه مما كانوا فيه من الضيق والشدة فهداهم سبيل الرشاد، وحررهم من رقعة تسلط الطغاة، ويسر لهم عبادته وهم في سعةٍ من أمرهم، فعابنوا ما وعد الله به المهاجرين حيث قال سبحانه : {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} [النساء/100]، وقال عز وجل : {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} [العنكبوت/56] نسأل الله أن ينفع بها.

أولاً : حتى تعرف نعمة الله عليك بما أنت فيه اليوم، ولا يطول عليك الأمد فيقسو قلبك وتنسى الفضل الذي وفَّقك إليه، تذكّر ما كنت فيه وأنت في بلدك وبين أهلِكَ، فالضد يُظهر حسنه الضدُّ، وما من نعمة إلا ولها ما يقابلها، واستحضر ما عانيته من الشوق الكبير للحق بركب الجهاد والمجاهدين، وبكائك بين يدي ربك أن ينجيك من القوم الظالمين، وإلحاحك عليه آناء الليل وأطراف النهار بأن يجعل لك ولياً ويجعل لك نصيراً، فاستجاب لك ربُّك سبحانه وآتاك من كل ما سألته وزادك من فضله، فجعل لك من همك مخرجاً ومن ضيقك فرجاً، وأرشدك إلى سبيلٍ ميسرٍ، وأوصلك إلى مأوىٍ آمنٍ وركنٍ شديد، وجمعك بمن كنت تستبشر برؤيتهم نائماً، وصرت واحداً منهم وصدق الله : {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل/18].

ثانياً : احذر أن تبدل نعمة الله كفرًا فيحل بك البوار : {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [البقرة/211]، وأكثر من ذكرها وشكرها، ولا يكن حالك كحال أولئك القوم الذين استقلوا البحر فاضطرب عليهم فلاجأوا إلى ربه متضرعين خاضعين مخلصين حتى إذا نجَّاهم ربه وآمن روعهم نسوا ما كانوا فيه من قبل فراحوا يعيشون بالفساد وقد آمنوا مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، كما قال عز وجل : {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} (67) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا} [الإسراء/67-69] فاعلم أن من أخرجك قادرٌ على أن يردك، ومن نجَّاك لا يعجزه إعادتك، فكن مخلصاً صادقاً وجلاً في السراء والضراء، وإن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، قال سبحانه : {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا

نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال/53]، فإذا تغيّر عليك قلبك، ونفرت مما كنت تحب من الحقّ فراجع نفسك وتفحص حالك فاستخرج الداء ولو كان دفيناً.

ثالثاً : لا تنسَ الإخلاص في أعمالك كلّها، واجعل جهادك لتكون كلمة الله هي العليا، وسخر دنياك لدينك، ولا تستعمل دينك لدنياك، فإياك إياك وخطوات الشيطان التي يُفَسِّدُ بها عليك عملك، بالرياء، أو طلب السمعة، أو الشهرة، أو الذكر، أو الشرف، ولتجتهد في سدّ منافذه التي يلج منها، واستعد بالله منه واستعن به عليه : {وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف/200].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يُقاتل للمعتم، والرجل يُقاتل للذكر، والرجل يُقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) متفق عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، فاحفظ حظيرتك واحذر الذئب الخفية.

رابعاً : عليك بحسن الخلق، فإنه أثقل شيء في الميزان، وهو كما قال بعض العلماء: كف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه، وعامل إخوانك بما تحب أن يعاملوك به، فلا تكن معهم فظاً، ولا غليظاً، ولا قاسياً، ولا مسيئاً، ولا فحاشاً، ولا سبّاباً، ولا بذيئاً، ولا عبوساً، بل كن معهم هيناً، ليناً، سهلاً، طلقاً، بشوشاً، واقتد بنبيك صلى الله عليه وسلم في خلقه كما تقتدي به في صلاته وجهاده، فهو في كل أسوء حسنة لنا، فبذلك تكون له حبيباً ومن منزلته قريباً، فقد زكاه ربه سبحانه بقوله : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم/4]، وقال له : {فِيمَا رَحِمَهُ مَنْ اللَّهُ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران/159]، وقال سبحانه : {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة/128]

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون) رواه أحمد، وابن حبان.

خامساً : لا تكن مفلساً، ولا تُنفق حسناتك على غيرك وتستجلب سيئاتهم، فتكون كالذي يكد ليله ويكدح نهاره حتى إذا استلم أجرته أعطاه لغيره بالجحان وأهلك نفسه، فتجنّب البهتان، وأذية المسلمين جميعهم بلسانك ويدك، فلا تكن لهم مغتاباً ولا نماماً ولا قاتلاً، ولا همّازاً لمازاً، واعلم أنك إنما هاجرت وجاهدت لتحفظ بنحرك

دماءهم وتذب بسيفك عن أعراضهم فلا تمزقها بلسانك، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، قال الله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} [الأحزاب/58].
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَيِّتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) رواه مُسْلِم.

وعن ثوبان - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمالٍ أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثوراً، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قومٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها) رواه ابن ماجه.

سادساً : عليك بطاعة أمرائك في المعروف، واتخذ طاعتهم طاعةً لرئك، ولا تجعلها آصاراً ألقيت على كاهلك، واعلم أنهم لم يتميزوا عنك إلا بثقل الأمانة التي يحملونها، وكلهم يودُّ أن لو كُفوا أمرها ووقوا شرَّها، فإنها - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم - : (ستكون ندامة يوم القيامة، فعمت المرضعة وبئست الفاطمة) رواه البخاري، ومسلم.

واعلم أن قيام الجهاد بالجماعة، وقيام الجماعة بالإمارة، وقيام الإمارة بالسمع والطاعة، ولا تستنكف عن طاعة أميرك ولو كان أصغر منك سناً، وأقلَّ علماً، وأضعف جسمًا، وأحدث تجربةً، وأرث هيئةً، فإن استقام فأعن، وإن أخطأ فانصح، واحذر مسلك من : {قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ} [البقرة/247]، وليكن همك إرضاء ربك لا اتباع هوى نفسك، قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء/59].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعِصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي) متفقٌ عليه.

سابعاً : احرص على الاجتماع والائتلاف، وانبد أسباب الفرقة والاختلاف، وكن لإخوانك عوناً لهم لا عبئاً عليهم، فما يؤلف بين القلوب ويجمع كلمة المجاهدين ويجعلهم صفاً كالبنين المرصوص فاستمسك به، وادعُ إليه، وحضَّ عليه، ورعّب فيه، وما يجرّش بين المجاهدين، ويشتت كلمتهم، ويثير العداوة والبغضاء بينهم، ويُشعل الضغينة في صدورهم، ففرّ عنه، وحذّر منه، وناصح مَنْ يقترفه أو يقرّبه، فلا تكن عدواً للجهاد وأنت تزعم حبّه، ولا باباً موصداً أمام النصر وأنت تبغي بلوغه، فإن الفرقة سببُ الفشل، والتنازع آفة الاجتماع، والنار توقدُ بشرارة، كما قال سبحانه : {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال/46]، وقال سبحانه : {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران/105]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله يرضى لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً وأن لا تتفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم) رواه مسلم.

واطلب البركة والرحمة فإنها في الجماعة، واترك العذاب فإنه في الفرقة، وإنما يأكل الذئب من الشاة القاصية. ثامناً : تجنّب المرء في الدين، وضرب أحكام الله بعضها ببعض، ولا تتكلم فيها -صغيرها وكبيرها - إلا بعلم، واعلم أن صاحب الكلمة يملكها ما لم تخرج منه، فإن خرجت طارت فصارت له أو عليه، قال تعالى : {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء/36].

ودع عنك قيل وقال، وكثرة السؤال، وأسباب الجدال، وسلّم للحقّ يسلم لك، ولا تفتح عليك وعلى إخوانك باباً من الشرّ تعجز أن تُعلقه، وكُن لهم مطاوعاً لا منازعاً، وموافقاً لا مشاققاً، ومياسراً لا معاسراً، ومشاركاً لا مشاكساً.

فمن وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذٍ وأبي موسى رضي الله عنهما : (وتطاولا و لا تختلفا) رواه البخاري ومسلم.

وعن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرأ القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه) متفق عليه.

وفي الحديث دلالة على أن الاختلاف لا يُقطع دائماً بالمباحثة والمناقشة للوصول إلى ما يُتفق عليه، بل قد يكون رفعه بالسكوت وعدم التمادي، وإذا كان هذا في كتاب الله تعالى فكيف بغيره من مسائل الاجتهاد التي لم يزل جهابذة العلماء مختلفين فيها.

وَمِنْ عَقُوبَاتِ اللَّهِ لِمَنْ حَادُوا عَنْ سَبِيلِهِ أَنْزَلَ الْجَدَلَ بَيْنَهُمْ وَهُوَ مَاحِقٌ لِلْبَرَكَةِ، مُهْلِكٌ لِلْعُمْرِ، مَكْدَرٌ لِلنَّفُوسِ، مَفْسِدٌ لِلطَّبَاعِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هَدْيٍ كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَلَا تَكُنْ سَبِيًّا فِي حَرَمَانَ أُمَّتِكَ وَإِخْوَانِكَ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: (إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَّمِسُّوْهَا فِي السَّبْعِ، وَالتُّسْعِ، وَالْحُمْسِ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

قال البدر العيني في فوائد الحديث : (أن الملاحاة والمخاصمة سبب العقوبة للعامة بذنب الخاصة، فإن الأمة حرمت إعلام هذه الليلة بسبب التلاحي بحضرته الشريفة) اهـ .

وَحُزُّ بَتْرَكَكَ الْمُخَاصِمَةَ وَبُعْدُكَ عَنِ الْمَجَادَلَةِ بَيْتًا مَضمُونًا فِي الْجَنَّةِ تَكْفُلُ لَكَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي قَالَ: (أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رِيضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَ إِنْ كَانَ مُحَقًّا) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

تَاسِعًا: اجْتَهِدْ أَنْ تَمَلَأَ وَقْتَكَ بِالطَّاعَةِ، وَعَلَيْكَ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا تُطِيقُ، فَسَاحَةُ الْجِهَادِ سَوْقٌ تَوْشِكُ أَنْ تَنْفُضَ، فَيَرْبِحُ فِيهَا مِنْ يَرْبِحَ، وَيَخْسِرُ مِنْ يَخْسِرُ، فَاجْتَنِمِ سَاعَتَهَا، وَاحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَلَا تَتَكَلَّفْ عَلَى مَجْرَدِ جِهَادِكَ وَلَا تَغْتَرَّ بِغَزْوِكَ وَرِبَاطِكَ، وَارْفِدْهُ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ، وَأَزْرِهِ بِكَثْرَةِ الثَّرِبَاتِ، فَحَاوِلْ أَنْ تَجْعَلَ لَكَ وَرْدًا مِنَ الْقُرْآنِ، وَحِظًا مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَشَيْئًا مِنَ الصِّيَامِ، وَحَافِظًا عَلَى أَذْكَارِكَ، وَليكن لسانك رطباً بذكر ربك، وَاقْرَأْ مَا يَتيسرُ لَكَ مِنْ كِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ النَّافِعَةِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، فَلَا تَدْرِي لَعَلَّكَ تُدْعَى مِنْ كُلِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دَعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دَعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دَعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دَعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَانِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى مَنْ دَعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يَدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَاخْلُ بِنَفْسِكَ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ لِتَعْرِفَ عِيُوبَهَا وَتَقْوَمَ عَوْجَهَا وَتَخَوْفَهَا رَهْمًا، وَاخْدِمِ إِخْوَانَكَ بِمَا تَسْتَطِيعُ مِنْ غَسَلٍ، أَوْ طَبَخٍ، أَوْ تَمْرِيضٍ، أَوْ تَنْظِيفٍ، أَوْ نَصِيحَةٍ، أَوْ حِرَاسَةٍ، وَاحْتَسِبْ فِي ذَلِكَ الْأَجْرَ، وَاصْبِرْ عَلَيْهِمْ وَكُنْ فِي

حاجتهم يكن الله في حاجتك، ومن كان الله في حاجته أفلح، ولا تكن متواكلاً كسلاناً بطلاً وقد قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة/2].

واقض ما استطعت من وقتك في المراكز، والمعسكرات، ومواطن الرِّباط، وحاول الارتقاء بنفسك بما يتيسر لك من الدورات، ولا تهدر أوقاتك في الذهاب والإياب، والولوج والخروج، والولائم والمطاعم، والمشى في الأسواق وذرعها، وتتبع ذكائنها وتقليب بضائعها، فإنك ما هاجرت لتكون صحاباً فيها، وأنت تاجر آخر لا تاجر دنيا، وصفقتك مع الله لا مع الناس، ولم تقصد بهجرتك الفنادق وإنما أردت الخنادق فها هي ذي فالزمها، وهل ذلك إلا كمن استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فأين مواطن الطاعة ورياض الذكر ومجامع الخير من أبغض البلاد إلى الله وهي أسواقها، فاقتصر منها على ما تضطر إليه ولا تزد، واعلم أن ما يمضي من عمرك فلن يعود أبداً فانظر فيما قضيتَه وفيما تقضيه، واجعل سؤالك دائماً: ماذا استفدت منذ أن هاجرت، وهل يومي كأمسي؟ فمن وجد خيراً في جوابه فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه!

عاشراً: اعرف للأنصار حسنتهم، بل حسناتهم، فوالوا عندما عادى الناس، وآووا حينما طرد الناس، ونصروا يوم أن خذل الناس، وأنفقوا وقد شحَّ الناس، وعادوا القريب من أجلك، وقد عاداك القريب من أجل عدوك، هذا مع أنه لا يجمعك بهم حسب ولا نسب ولا لغة ولا مال، ولم يزالوا يرتقون في مدارج الولاء والنصرة والإيواء حتى بذلوا مهج نفوسهم ذباً عن المهاجرين، وتحملوا أنواع الأذى في أنفسهم وأموالهم وأهليهم وحرثهم وديارهم من أجلهم فصبروا، فخرجوا أن يكون لهم نصيب ممن قال الله فيهم: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر/9]

فكن محسناً لمحسنتهم متجاوزاً عن مسيئتهم، محباً لهم، رفيقاً بضعفائهم، معلماً بلطفٍ ولينٍ وتواضعٍ وحكمةٍ لجاهلهم، توقراً كبيرهم، وترحم صغيرهم، وتعزراً أمراءهم، وتعرف لعالمهم حقّه، ولا تُهين كبارهم ووجهاءهم، ولا تتبع عثراتهم ولا تتقصى أخطاءهم، وتعرف ما استطعت على أبواب قلوبهم لتحسن الدخول إليها، وإياك ثم إياك واحتقارهم أو الترفع عليهم فتهلك، فإن كان ثمة منة فهم أحقُّ بما علينا، وبحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم في الأنصار السابقين: (أقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم) متفق عليه، وقال أيضاً فيهم: (اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار) رواه البخاري، ومسلم.

الحادي عشر : وأخيراً اعلم أن التوفيق كله بيد الله تعالى، والعون من عنده، فالجأ إليه ولذّب بابه، فإنه لا يجيب من رجاه، ولا يرُدُّ مَنْ سألَه، ولا يطرد من أناب إليه، فأظهر فقرك بين يديه، وأكثر من الدعاء لك ولوالديك ولأهلك وللمؤمنين أجمعين، وادعُ لإخوانك في ظهر الغيب، وتخيّر لدعائك أوقات الإجابة، واعلم أن الفتن اليوم تُطل علينا في موج كالجبال ولا عاصم من أمرها إلا من رحم الله، وتتوالى كقطع الليل المظلم سوداء نكداء صماء عمياء لا نجاة منها إلا بتثبيت الله لعبده : {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم/27]، وها أنت ترى كم من إخوانك الذين ذابت قلوبهم شوقاً إلى ساحات الجهاد، وما طاب لهم عيشٌ ولا تلذذوا بدنيا، وشعروا أن الأرض ضاقت عليهم بما رحبت، وغامروا وخاطروا حتى إذا وصلوا إلى ما كانوا يؤمّلون ونالوا البغية التي سعوا إليها بكل ما يستطيعون انقلبت عليهم قلوبهم وتبدلت نفوسهم وضاقت صدورهم فإذا بهم يطلبون المخرج مما هم فيه بأي شيء فرجعوا من حيث أتوا لا بل بمنة الطغاة عليهم بعد أن كانوا بعيدين عنهم حتى وهم في ديارهم، فاعتبر بذلك ولا تشمت، واتعظ ولا تسخر، وقل: اللهم سلّم سلّم! واحذر أن يصيبك ما أصابهم وأكثر من دعاء الصالحين : {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران/8].

وادعُ بما دعا به نبيك صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ) رواه مسلم.

واصدق مع الله، وابتغِ رضاه واتَّبِعْ هداه ثم امضِ ولا تخف : {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [هود/115].
والحمد لله رب العالمين.

وكتبه خادم المجاهدين / أبو يحيى الليبي
السبت...25/ربيع الآخر/1431هـ.